



مراسم الزفاف هي- جزء لا يتجزأ من العالم الأخلاقي للشعب الأذري. وكل طقس من طقوسها يرتبط بالمعتقدات الدينية القديمة وبأسرار المعجزات والخوارق، وبمختلف أنواع السحر، أي أنها تحمل في طياتها بصمات الحياة الثقافية المستقرة لقرون عديدة، والحياة الروحية لسلالة السكان الجبليين في أذربيجان.

على هذا النحو، فإن طقوس الزفاف لدى الأذريين تتمتع بتقاليد عريقة تمتد عبر القرون. ويؤكد على هذا الأمر الأدب الملحمي، ومواد الفلكلور، بما فيها الملاحم الشعبية، والحكايات الشعبية، والأغاني والرقصات. وحتى يومنا هذا، فما زالت تلك التقاليد الموصوفة قائمة بين الأذريين، سواء المقيمين على أراضي وطنهم التاريخي الأم أذربيجان، أو المغتربين في أرض المهجر.

المراجع

1. ميرالي سيدوف. مصادر الميثولوجيا الأذربيجانية (باللغة الأذرية). باكو، 1983، ص 276.
2. باباييفار. التقاليد والطقوس في باكو قديما // الأرشيف العلمي، وثيقة رقم 1376، و 1627.
3. قيبولايف ج. حول بعض طقوس الزفاف في أذربيجان // تقارير أكاديمية العلوم الأذربيجانية السوفيتية، 1964، رقم 11.

العريس. ويأتى دور المطرب القائم على الحفل. فيشدو بالأغان: «أضاءت الابتسامة شفتاك»، و«الفتاة الفريدة من نوعها، السائرة فوق الماء»، وتعزف الألحان الراقصة: «خيفاجوليو»، و«سليمان»، و«قازاخى». ويمرح الشباب. وبعد ذلك تبدأ مراسم المديح للعريس الجالس فى مكان خاص. ويضعون أمام السيد (العريس) طاولة مكسوة بغطاء من الجوخ الأحمر، وفوقها الخونشا المملوءة بالحلوى، والأزهار- رمز الجمال. وبعد مرور بضعة دقائق، يقوم اثنان من الموسيقيين مع السائق وأحد السادة الآخرين، بدعوة العريس إلى حفل الزفاف، تحت أنغام الموسيقى المبهجة.

وعلى الشيوخ ترديد هذه العبارات الحتمية: «ينبغى على السيد الرقص فى حفل زفافه حتى يأتى الخير الوفير». ويأخذ فى الرقص مع العريس الأصدقاء والمعارف.

وفى الصباح بعد الزفاف، يعدون للعروس عصيدة الدقيق الحلوة بالزبد، ومن جديد يجتمع الأقارب والجيران حول الطاولة لتناول- البلوف التقليدى (الطبق الشعبى من الأرز والجزر ولحم الضأن). وهكذا يحتفلون «بطهارة العروس». فى كافة مناطق أذربيجان، ينبغى ألا تظهر العروس للناس لثلاثة أيام. وبعد ذلك تقوم وكالة العروس، وشقيقاتها، وبعض الأقارب المقربين لها (عدا الأم) بالذهاب إلى بيت العريس حاملين مختلف الأطعمة، والفواكه، والهدايا. ويسمى هذا الطقس «الأيام الثلاثة».

بعد مرور سبعة أيام من الزفاف، يتوجه أهل بيت العروس حاملين بالهدايا والحلوى، لزيارة الزوجة الجديدة. ويُسمى هذا الطقس «النظرة الكبرى»، ويشترك فيه الأم، والأب، والأشقاء والأقارب. ويقام احتفال تجلس فيه النساء منفصلات أو برفقة الرجال. ويتقابل الجميع مع العروس بالتناوب.

بعد مضي أربعين يوما من الزفاف، يدعون العروس مع أسرة العريس إلى بيت أهلها. ويقوم والدها بمنحها بقرة، أو أى هدية ثمينة أخرى. ويُعرف هذا الطقس باسم «بداية المعاشرة».



الخير للألم. كما يضعون العسل بجانب الخبز في خونشا الزفاف، وعندما تخطو العروس عتبة بيت العريس، يطعمونها كسرة خبز مغموسة في العسل. ويرمز هذا الطقس إلى الرغبة في أن يظل سلوك العروس عذبا رقيقا في معاملاتها.

ويطلق الموسيقيون المصاحبون للعروس أمنياتهم عند وداعها، وينتقلون إلى مكان الاحتفال. وتدخل العروس بيت العريس دون أن تجلس، بل تستقبل هدايا الأهل التي يحملونها إليها (الخاتم، النقود للحياة الرغدة القادمة أو الخراف والعجول). وعندما تجلس يعطونها طفلا تحمله بين يديها. صبي، باعتباره رمزا في الرغبة أن تضع أول مولود لها ذكر من الجنس القوى.

تحمل العروس معها إلى بيت العريس الحلوى التي خبزتها أمها. وتقوم وكيلة العروس في الزفاف بتوزيع الهدايا على الموسيقيين والطهاة. ويدقون مسمارا في باب حجرة العروس، وذلك طبقا للاعتقاد في أن العروس ينبغي عليها البقاء في هذا البيت للأبد، وأن تصبح سيدة الدار عن جدارة.

بعد وصول العروس، تستمر مراسم الزفاف في بيت

تحطيم طبق فارغ بقدميها. ويجرى كل هذا أمام أنظار الحضور، وهذا يعني كأن العروس تقول: «لو أقدمت على خيانة هذا المكان، بيت الزوج، فحينئذ أستحق السحق مثل هذا الطبق» (3).

وينتشر طقس آخر على نطاق واسع: نثر الحلوى فوق العروس، ما إن تطأ قدمها بيت العريس. ويرمز هذا الطقس إلى الرغبة في أن تظل دائما رقيقة وعذبة. وطبقا للتقاليد، فإن المرأة المجلوبة للعروس هي- رمز الطهارة، والعذرية، والرفعة، والأمانة، والعفة. وعندما تخرج الفتاة خلف عتبة البيت، يثرون عليها الدقيق وجريش الدخن (نبات عشبي ذو حب صغير مثل السمسم) والأرز. ويضعون في خونشا الزفاف (صندوق الهدايا الصغير المزخرف للعروس) الخبز الحلو، والفطائر، كأنها، كما يقول المعتقد الشعبي، تحمل معها الخير الوفير إلى البيت الجديد، وكى يكون دخولها مصحوبا بالتبجيل والاحترام.

ويضعون فوق رأس العروس رغيفا من الخبز. ويعنى هذا أنها قد أطعمت من الخبز الحلال للوالد، وارتوت بالحليب

الأقارب المقربين. وفي واقع الأمر، فإن طقس «أسفل الزنار حول الخصر» هو- رمز الرباط الأزلى مع الزوج الصالح، والذي يمثل الركيزة الصلبة للشريك العادل فى الحياة.

يدلف الموسيقيون إلى حجرة العروس تحت أنغام لحن الزفاف «فجزالى» (لحن الزفاف الشعبى فى أنزببجان، وهناك رقصة شعبية مصاحبة تحمل نفس الاسم). وتغادر الفتاة بيت والديها تصاحبها الوكيلتان. وتحمل إحدى الوكيلتين مرآة فى يدها، وتحمل الأخرى شمعة مشتعلة أو مصباح مضاء، وتسيران على يمين ويسار العروس. وطبقا للمعتقد الشعبى، فإن الشمعة والمصباح بالقرب من العروس الجديدة، يمثلان رمزا للحماية من قوى الشر، والحسد والأرواح الشريرة. كما تقوم المرأة أيضا بنفس المهام، ويحملونها أمام العروس. كما يسود اعتقاد بأن المرأة لا تعكس العروس نفسها، بل روحها التى تحمى الفتاة من كل شر.

ويقوم الشباب على طول الطريق باعتراض السيارات، مطالبين بدفع «فدية». ويسمى هذا الأمر «قطع الطرق». ويمنح والد العريس «الفدية» لهم. ويسعى أفراد أسرة العريس لأخذ شئ خلسة من بيت العروس، وعندما يقتربون من السيارات، يلوحون بتلك الأغراض. ويمثل هذا التقليد تأكيدا فريدا من نوعه، على أن جهاز العروس لن يعود أبدا إلى بيت أهلها. وتعبير آخر، فالأغراض المأخوذة خلسة من بيت العروس، سوف تظل للأبد فى البيت الجديد- منزل الزوج.

مع وصول الموكب إلى بيت العريس، تتردد كلمات الأغنية «لقد أنعمت العروس علينا بالحضور إلى بيتنا». وتقوم الوكيلتان بمساعدة العروس فى الخروج من السيارة. وبعد ذلك يضع الحمو خروفا عند قدمى العروس للتضحية به، ويدهنون قدميها وجبهتها بدمه. وهكذا، وكأنها تعبر خلال رأس وجسم الخروف. وتعزف أنغام الألحان الراقصة «تيريكيمى»، و«أوزون ديرى»، و«ياللى»، و«خيفاجيوليو» وغيرها، وبعد ذلك طبقا للتقاليد، فعلى الزوجة الجديدة

المقربين للعريس يحملون على أصابعهم الحناء للعروس، ويمنحونها الأموال هدية لها. وتعد أسرة العروس للمشاركين فى المراسم مأدبة غداء احتفالية. وفى مختلف مناطق أنزببجان يُطلق على طقس وضع الحناء أسماء متنوعة: فى شيكى- «مأدبة العروس»، وفى توفوز- «عرض الفتاة»، وفى ماسالى ولنكوران- «قطف الفتاة»، وفى جوبا- «وضع الحناء»، وفى أبشرون- «التحنية»، وفى الأماكن الأخرى- «وضع الحناء»، و«وليمة الفتاة»، و«الفتاة الصغيرة». وفى اليوم الثانى يصبح المشاركون فى الزفاف أقارب ومدعوين أيضا. ومع اقتراب منتصف اليوم يقوم الناس فى بيت العريس ومعهم قسم من الموسيقيين (وهم فى الغالب من عازفى الزورنا «آلة نفخ شعبية خشبية»، الذين يعزفون فى أول يوم من أيام الاحتفال) بالتجمع خلف العروس. أما المغنيون وبقيّة الموسيقيين فيواصلون الترفيه عن الضيوف. ومن جديد يقوم الإبن الأكبر فى العائلة، ومعه الشيوخ وغيرهم من أقارب العريس المقربين، باستقبال القادمين إلى البيت.

وتتوافد إلى بيت العروس السيارات المزينة (العربات المكشوفة فى الماضى). ويقوم الأقارب المقربون للفتاة وجيرانها باستقبال الضيوف. ويبدأ أفراد عائلة العريس فى الرقص تباعا. وتدخل وكيلة العريس مع مجموعة من النساء إلى حجرة العروس. وبما أن الباب فى الغالب يتم إغلاقه عمدا، تمنح الموكلة فدية وهى تلقى النكات والمزح كى يفتحوا لها الباب. ويسمى هذا الطقس «فتح الباب». وتقوم وكيلة العروس والسائق أيضا والصديقات بتزيين الفتاة. وتقوم وكيلة العريس بتوصيل المال المطلوب «لتزيين الوجه (وضع الماكياج)». ويقف أهل الفتاة عند الباب، وهم يطلقون الأمنيات الطيبة بالسعادة. ويربط شقيق العريس شريطا حول خصر العروس، وبعد أن يضع النقود فى يدها اليمنى، يضع شقيق العروس النقود فى اليد اليسرى، يربطونها بالشرائط إلى يدي العروس. وإن لم يوجد شقيق لها، يقوم بهذه «المهمة» أحد

«مراسيم الزفاف». الفنان اسماعيل ممدوف



(حساء لحم الضأن)، ودوفجا (حساء اللبن الرائب والحمص).
ويقيمون للرجال مأدبة منفصلة وحفل غداء. وبعد الانتهاء من طقس «حياكة الثياب وعرضها»، يضعون قائمة بجهاز العروس، الذي ينقلونه إلى بيت العريس. وفي الوقت نفسه، تتجه امرأتان موكلتان من طرف العروس إلى بيت العريس، وذلك كي تقوما معا بتزيين حجرتها.

بعد هذا يُقام «مجلس الزفاف»- وهو الاسم الذي يُطلق على الاجتماع المقام في بيت العريس، حيث يعينون شخصا يتولى قيادة العرس- «شيخ العرس» (كانوا يسمونه قبل الثورة «أمير الجبل»). ويقوم هذا الشخص بإدارة العرس، ويتابع اجراءات ونظام الاحتفال. ومع الانتهاء من الأعمال التحضيرية، يبدأ الزفاف في بيت العريس.

وفي أرفع المواقع بالمكان الذي يُقام فيه الاحتفال، يجلس المطربون والقائم على الاحتفال، وعند المدخل توضع طاولة تتربع فوقها الزهور وقطع الشوكولاتة. ويلقى الضيوف كلمات النصح والإرشاد، ويتناولون الحلوى، ويمنحون المال بدلا من الهدايا. ويُحیی الزفاف المطربون بصورة رئيسة، وفي بعض الأحيان منشدو المقامات العاطفية أشوج.

وفي مساء اليوم الأول للزفاف، تمضى في بيت العروس مراسم «وضع الحناء». ويجرى دعوة الصديقات والفتيات المقربات لحضور تلك الليلة. ويأتى من بيت العريس مجموعة من الشباب الصغير والفتيات اليافعات مع الموسيقيين، الذين يعزفون ويرقصون ويمرحون مع العروس. وأكثر الأقارب

تحديد يوم الزفاف. وتسمى هذه المرحلة بمرحلة «التركيز». وقبل عدة أيام من الزفاف، يتم تسجيل عقد الزواج في حضور الشهود من الجانبين.

وإن تجردنا من قضية التنوع العرقى للسكان في بعض مناطق أذربيجان، وبعض السمات المميزة لها، فيمكن القول أن احتفالات الزفاف في أرجاء الجمهورية متشابهة للغاية.

في يوم «حياكة الثياب وعرضها» في بيت العروس، يجتمع الضيوف والأقارب في بيت العريس. ويتفقدون الهدايا المشتراة للعروس، ويجمعون الهدايا التي جلبها الضيوف (على سبيل المثال- الأقمشة، والخواتم، والمناديل)، ويضعونها في الحقائب المزينة بالشرائط الحمراء، ويشترون باقات الورد، ويزينون الصوانى التي تحمل أطباق المأكولات والحلوى. وبعد ذلك يتوجه ضيوف العريس إلى بيت العروس.

وفي نفس ذلك اليوم، تقيم النساء (من 50-100 فردا) مراسم «حياكة الثياب وعرضها». ويُقام معرض فريد من نوعه للأشياء المُهداة للعروس، وكذلك المُهداة للجدّة، والأم، والأشقاء، والشقيقات. ويتصدر هذا الطقس النساء المتقدمات في العمر- الموكل بهن من طرف العريس والعروس. وتقوم المرأة المنوط بها مرافقة العروس إلى بيت العريس، بقص قطعة من القماش (من هنا جاءت التسمية- «بالتار كيستى» أى- «حياكة الفستان»، وتظل هذه القطعة من القماش محفوظة بالبيت فيما بعد). ويعهد الوكيل طرف الزوج إلى «زملائه» عهدا بجمع المال المؤجل. ويقوم الأقارب المقربون للعريس بتقديم المال إليه في بيته أو في بيت العروس، وذلك باعتباره نوعا من الهدايا، ولا يأخذون المال من بعض القادمين من بيت العريس.

وأثناء مراسم «حياكة الثياب وعرضها»، يقومون بتقديم أطباق الحلوى والفواكه، والغداء المكون من بعض المأكولات مثل- الدولما (ملفوف ورق العنب)، وكرات اللحم، وبوزباش

«الخطبة». الفنان اسماعيل ممدوف



جاهرا بصوته: «أمنحك خاتم المصير، فليحب كل منكما الآخر، ولترزقا بالبنين والبنات».

وهناك بعض العائلات تقيم «ترتيبات الخطوبة». وفي ظل هذا الأمر يجرى تحديد ذلك اليوم، ومن بيت العريس إلى بيت العروس يتم إرسال اللحم، والحلوى وغيرها من الأطعمة. وفي يوم الخطوبة يُقدم إلى العروس الخاتم، ومنديل الرأس ومختلف الثياب الأخرى. وطبقا للتقاليد فالمرأة «السعيدة» هي التي تُمنح حق عرض الهدايا المقدمة على الضيوف، وذلك كي لا تفارق السعادة العروس طوال حياتها الأسرية. وخلال مراسم الخطوبة يتراوح عدد الحضور من 40-60 فردا. ويقوم أهل العريس بمنح العروس مختلف الهدايا (الخاتم، والحريير من نوع بارتشا)، كما يُحضر الضيوف المدعوون- الحلوى، والزهور. وبعد الخطوبة يدعون العريس إلى بيت العروس ويهدونه الخاتم. وتسمى هذه المرحلة «دخول العريس بيت العروس».

أثناء فترة الإعداد للزفاف، تسير الإعدادات على قدم وساق في بيت العريس للاحتفال المقبل، وفي بيت العروس، يجرى العمل بهمة حول الحصول على الصداق. وفي نفس الوقت يأتي أقارب العريس إلى بيت العروس. وفي هذا المقابلة، وطبقا لعدد الضيوف المدعوين للزفاف، يتم تحديد عدد أطباق الطعام المطلوبة، وكذلك يوم «حياكة الملابس» الخاصة بالعروس، ويجرى عرض المفروشات المهداة ويتم

الزيارة الأولى للخطاب لا يمنح الوالدان إجابة شافية محددة. ويقولون أنه من الضروري الحساب بالميزان لكل ما يؤدي إلى «القبول» أو «الرفض» بالنسبة للشباب. وفي حال وجود أية شكوك، يخرج القرار سلبا. وفي ظل هذا الحال يقولون: «ليس لدينا فتيات للزواج بكم»، و«لا تطرقوا بابنا لمثل هذا الغرض»، أو «ليس لدينا ما ترغبون به». وعند تلقي إجابة مرضية، يأتي في الزيارة الثانية مع الخطاب الوالد، وعم العريس، والأقارب الآخرون.

بعد الحصول على «نعم»، يقوم بيت العروس في أغلب الأحيان، بتقديم الشاي الحلو أو الشاي ذي اللونين. ويقومون بملء الأقداح حتى حافظها بالمشروبات العطرية الحلوة، ثم تضاف إليها ملعقة من الشاي الطازج. وهذا الأمر يعد- إشارة إلى توامة الأسرتين.

أثناء فترة الزيارة الأولى للخطاب، تقوم النساء (الجدة، والأم، والخالة، والأخوات) اللاتي تمثلن جانب العريس، بالحديث حول نيتهن. وفي الزيارة التالية للخطاب، يتم تحديد يوم الحصول على «نعم». وفي هذا اليوم، يحضر إلى بيت العروس شيوخ العائلة، والعم، والجدة، والأم، وغيرهم من الأقارب. وفي سياق الطقوس يقوم الشيخ الذي يمثل طرف العريس بمصافحة الشيخ الممثل للعروس ويسأله ثلاث مرات: «أتوافق على منح ابنتكم (اسم العروس) للزواج من ابني (اسم العريس) أم لا؟». وتتكرر الإجابة ثلاث مرات أيضا: «نعم، أمنحها». ويعبر هذا الحوار القصير عن الموافقة التي جرى التوصل إليها بين الأسرتين.

وبعد مرور بضعة أيام من الحصول على الموافقة، تجرى مراسم الخطوبة. ويأتي إلى بيت العروس عدد يتراوح من ستة إلى عشر أشخاص، وتحمل الفتيات خاتم الخطوبة، والمنديل، وبعض الثياب. ويُقام الاحتفال الذي يقوم خلاله شقيق العريس (إن لم يوجد فأحد الأقارب المقربين من الشباب اليافع) بوضع الخاتم المحفور عليه اسما الفتى والفتاة، حول إصبع العروس

طقوس الزفاف لدى الأذريين

وضعه بصورة نهائية فى أراضى أذربيجان، نجد العديد من المواضيع التى تم تكريسها للطقوس والعادات، والتى ما زال الكثير منها قائما حتى يومنا هذا. والكثير منها يتصل بمراسم الزفاف.

وتعود إلى جذور عميقة لتقاليد الخطبة والخطوبة والزفاف. لهذا، فنحن لا نتعرف عليها فى الملاحم الشعبية فقط، بل أيضا فى الحكايات الشعبية الأذرية (1، ص 276).

وخلافا لاحتفالات الزفاف القائمة فى مختلف مناطق أذربيجان، تصف لنا ر. باباييفا عالمة الإثنوجرافيا (علم دراسة الثقافة المادية) تتابع مراحل الطقوس فى قرى باكو على النحو التالى: اختيار العروس، الخطبة، الحصول على الموافقة، الخطوبة، عودة الصوان المحملة بالهدايا والطاولات الاحتفالية للشهود، أيام الربيع الاحتفالية («عيد الأضحى»)، وهدايا البساتين (أول ثمار تنبت من الفواكه والخضروات)، عرض للأزياء الجميلة المهداة، يوم حمام العروس، أمسية مع غناء المقامات، ليلة وضع الحناء، تسجيل عقد الزواج، ليلة الدخلة والصبح التالى لها، اليومان الثانى والثالث، يوم الحمام بعد مرور أسبوع من الزواج، العروس فى منزل الزوج، العلاقة مع الحمو والحماة، فترة حمل العروس، الولادة والرضيع، يوم الحمام للمولود الجديد، إطلاق الإسم على المولود، ثم تربيته وتعليمه (2).

فى الزيارة الأولى، طبقا للتقاليد، يذهب للخطبة امرأتان أو ثلاث. وتقم بالحديث حول عائلتهن وأطفالهن. وفى سياق

تعود احتفالات الزفاف فى أذربيجان بجذورها إلى التقاليد الشعبية العريقة والثرية. الزفاف هو - عيد ليس فقط لأسرتين، بل إن سكان القرية بأكملها يشاركون أحيانا فى الاحتفال بالزفاف. ونتيح لنا دراسة المراحل المختلفة للمراسم الاحتفالية، فرصة بلورة الخصائص المميزة للتراث الثقافى للشعب.

فى الملحة الشعبية «كتاب الجد كركوت»، الذى جرى

«العرس». الفنان آغا علي إبراهيموف

